

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة . كنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي عن الكفارة ومعناها .  
وقلنا أن الله قدّم المخلص المسيح ، لكي يكون كفارة من أجلنا نحن البشر الختاة . وتهدف كفارة المسيح أن تغطي خطايانا  
وتسترها أمام الله . فعندما نؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري ننال الغفران عن ذنوبنا ، وليس هذا فحسب بل نصبح أبرارا  
أمام الله . لكن ماذا يعني أن نصبح أبرارا أمام الله ؟ وما هو التبرير ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا اللقاء .

تعود كلمة التبرير إلى كلمة البر . فما هو البر ؟ البر هو الصلاح والصدق، والتنزيه عن الخطأ.

والبار هو الصالح والصادق . لهذا نقول : إن الله تعالى هو وحده البار ، أي الصالح ، المنزه عن الخطأ ، والذي لا يعرف الإثم.  
أما بالنسبة لنا نحن البشر فالوضع على خلاف ذلك ، إذ جميعنا ختاة ونفعل الشر. ولا يوجد بيننا من إنسان بار . أي صالح  
ومنزه عن الخطأ. وكما تقول كلمة الله : " ليس بار ولا واحد . الجميع زاعوا وفسدوا معا. ليس من يفهم ليس من يطلب الله.  
ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد . " (رو ٣: ١٠)

قد يقول قائل : إنني إنسان صالح ، ولم أفعل في حياتي ذنبا ، أو أرتكب إثما كبيرا . فأنا لم أسرق أموال غيري ، ولم أعتد على  
حياة الآخرين ، ولم أزن ، ولم أفعل الكبائر . إن قلبي من الداخل نظيف ولا يوجد فيه أي حقد أو ضغينة على أحد . وفوق هذا  
كله فأنا قد تربيت تربية دينية صالحة . ومنذ صغري وأنا أؤدي واجباتي الدينية ، وأحب الآخرين وأسعى لمساعدتهم . لكن  
السؤال هو : هل هذا الإدعاء صحيح يا ترى ؟ وإذا كنا حقا لم نرتكب جريمة ما ، ولم نسرق ، ولم نزن . فهل هذا يعني أننا  
أناس صالحون أو منزهون عن الخطأ ؟ لو فحص كل إنسان منا نفسه بصدق وأمانة ، لاكتشف أن طبيعته فاسدة من الداخل ،  
وأن الخطية كامنة فيه بالرغم من كل المظاهر التي يدّعيها . فنحن قد ورثنا طبيعة الخطية عن أبويننا الأولين آدم وحواء . ومهما  
ادّعينا بالنزاهة والصلاح ، فنحن لا نقدر أن ننكر وجود الحسد والبغض والضغينة والشهوة ، وغيرها من الصفات السلبية في  
نفوسنا . ولا نقدر أن نتجاهل وجود الغضب والصياح والكلمات النابية في حياتنا . " ليس بار ولا واحد . ليس من يعمل صلاحا  
ليس ولا واحد." هذا هو وصف الله لنا . وهذه هي حقيقة نفوسنا . سواء اعترفنا بذلك أم لم نعترف . ونتيجة لهذه الحقيقة المرة فقد  
استحقينا عقاب الله العادل ودينونته .

لكن السؤال هو : هل من الممكن أن نتبرر أي نصيح صالحين أمام الله القدوس ؟ وكيف ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات نقول : نعم بإمكاننا أن نصيح نحن البشر الخطاة أبرارا صالحين أمام الله . وهذا لا بد أن يعيدنا مرة أخرى إلى موضوع الكفارة ، والتكفير عن الخطية . فكما ذكرنا سابقا أن التكفير عن الخطية هو الذي ينقل الإنسان من حالة الفساد والخطية ، إلى حالة التبرير والصلاح أمام الله . فعندما يؤمن إنسان ما بالمخلص المسيح وبعمل التكفير الذي قام به ، لا يعود الله يرى الخطية في هذا الإنسان ، لأن كفارة المسيح قد غطت خطايه وسترتها . وهكذا يظهر المؤمن بالمسيح بارا أي صالحا أمام الله . قد يتساءل البعض ويقول : هل هذا معقول ؟ وهل من الممكن أن يسامحنا الله ، وينظر إلينا كأناس أبرار صالحين بمجرد الإيمان بكفارة المسيح ؟ والجواب نعم إن هذا معقول وممكن، لأن كفارة المسيح هي كفارة وافية. أليس هذا أمرا مدهشا للغاية يا أعزائي؟ أولا يكشف لنا عن محبة الله العظمى؟ أجل لقد أحبنا الله محبة عميقة، وليس هذا فحسب، بل أعد الكفارة الذبيحة التي نستطيع من خلالها، أن نصبح أبرارا صالحين أمامه.

لكن علينا أن نلاحظ أمرا هاما للغاية، لكي لا نسيء الفهم ، أن هذا لا يعني أن المؤمن بالمسيح تصبح طبيعته البشرية بارة وبلا خطيئة، أي يغدو كاملا . إذ الحقيقة أنه يصبح بارا فقط أمام الله، بسبب كفارة المسيح . لكن المؤمن بالمسيح في نفس الوقت يأخذ طبيعة روحية جديدة ، بواسطة روح الله القدوس ، حتى يغلب الخطيئة في حياته ، ويسلك في طريق الصلاح والخير .

قلنا في إجابتنا قبل قليل عن السؤال : كيف نتبرر أمام الله ؟ أن هذا ممكن عن طريق الإيمان بكفارة المسيح . وأيضا إن هذا أصبح ممكنا عن طريق عمل الفداء ، أي عمل الفداء الذي قام به المسيح على الصليب . ولكي ندرك هذا الأمر علينا أن نفهم ماذا تعني كلمة الفداء . إن فداء الرجل من الأسر أو السجن ، يعني إنقاذه من الأسر بواسطة المال مثلا . والفداء ما يُعطى من مال ونحوه عوض المفدي . وفي العهد القديم من الكتاب المقدس كان العبد أو الأسير المحكوم عليه ، يدفع دية أي مبلغا من المال ، ليفتدي به نفسه ويصبح حرا طليقا . وهذا المبلغ من المال يسمى فدية أو فداء . أما في العهد الجديد من الكتاب المقدس ، فإن كلمة الفداء تشير إلى التحرر من عبودية أو أسر الخطية، والخلاص من حكم الله العادل وقصاصه الأبدي ، عن طريق وسيط يدفع الثمن عوضا عنا . ولهذا ارتبط الفداء بالمخلص المسيح الذي يوصف بالفادي . فالمسيح هو الذي قدّم جسده فدية ، أي دفع ثمن العقاب عوضا عنا ، وذلك لكي يفك أسرنا من عبودية الخطية، ويرفع عنا دينونة الله . إن الفدية في العهد الجديد إذن ، هي جسد المسيح المقدم على الصليب ، ودمه المسفوك من أجل ذنوبنا. والمخلص المسيح هو الوحيد الذي أكمل عمل الفداء ، إذ فدى

البشر أي اشتراهم بموته البديلي على الصليب .

لقد كانت الذبائح الحيوانية التي تقدّم في العهد القديم ، تشير إلى حاجة الإنسان إلى فدية ، أو لمن يأخذ القصاص عوضا عنه ، حتى ينال غفران الله ورضاه . وفي نفس الوقت كانت هذه الذبائح ترمز إلى فداء المسيح . وعندما أتى المخلص المسيح قدّم نفسه ذبيحة عن الخطية ، وصار هو الفدية المقبولة أمام الله . ولهذا وُصف المسيح بحمل الله الذي يرفع خطية العالم . نعم ، لقد أعدّ الله ولفرط محبته لنا ، أعد لنا طريق النجاة . وذلك بأن أرسل كلمته الأزلي ، الإبن الوحيد إلى العالم ، أي المخلص المسيح ، ليكون هو الفدية التي تقدّم من أجلنا . وهكذا فُتِح الباب واسعا ، لكي نتحرر من عبودية الخطية ، ونتبرر أمام الله ، وننال الغفران الكامل عن خطايانا . ولكي نحصل على هذه الهبات العظمية ، ما علينا إلا أن نؤمن فقط بهذه الفدية المقدمة لنا .

لهذا لم يكن غريبا أن يكتب رسول المسيحية بولس قائلا : " متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح الذي قدّمه الله كقارة بالإيمان بدمه لظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله . " ( رومية ٣: ٢٤ ) علينا إذن أن نؤمن بعمل الفداء ، أو بالفدية التي قدّمها الله من أجلنا ، من خلال المخلص المسيح ، لكي نحصل على تبرير الله وغفرانه المجاني ، ونتحرر من عبودية الخطية .

ولهذا كتب أيضا الرسول بطرس قائلا : " عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح . " ( ١بط ١: ١٨ ) إن الرسول بطرس هنا يتحدث إلى المؤمنين في المسيح ويقول لهم : أنهم افتدوا أي دُفع الثمن عنهم ، أو اشتروا ، ليس بأشياء فانية كالفضة والذهب ، بل افتدوا بدم المسيح الغالي الثمن جدا .

لاحظ مستمعي أنك لست بحاجة لكي تقوم بأي عمل صالح أو أية واجبات دينية ، لكي تفدي نفسك أو تتقذها من دينونة الله . لكن المطلوب منك فقط أن تؤمن بهذه الفدية التي أعدها الله لك . فهل تُراك تأتي إلى الله تائبا عن ذنوبك ، ومؤمنا بهذه الفدية ، أي فدية المسيح التي أعدها لك ؟ وهكذا يغفر الله ذنوبك ، وتصبح بارا أمامه ، وتنال هبة الخلود .